الطبيعة توحى والشاعر ينطق

للأستاذ محمد عبد الغنى حسن

— ٢ —

لم أذكر فى مقالى الأول شعراء الطبيعة فى الشرق والغرب على سبيل الحصر ، بل ذكرتهم على سبيل المثال . وما كنت فى معرض يأذن لى بأن أتتبع شعراء الطبيعة واحداً واحداً فى العالم كله ، وأحصرهم جميعاً فى مقال واحد فى مجلة أسبوعية تضيق صفحاتها عن الحصر فى موضوع يعجز الكاتب أن يستوفى جميع أطرافه . فذلك عمل أولى أن يكون موضوعاً لكتاب يكتب ويحفظ على سبيل الرجوع إليه ، لا مقالاً فى مجلة تختلف أفانين الكلام فيها باختلاف الكتاب ونوع اختيارهم لما يكتبون

ولم أشأ أن أجعل لمقالى الأول لحقاً يلحق به ، أو حلقة ثانية ، ولكن الأديب الفاضل الأستاذ حسين الغنام استدرك على مقالى بعض أشياء رأى أن يذكرها لى فى كتاب خاص . فرأيت ألا أحرم قراء الرسالة الاشتراك فى موضوع لم يعد لى وحدى ؛ ولكنه أصبح موضوع كل قارئ . ومن حق القارئ على الكاتب ألا يغفل رأياً أو يهمل استدراكه . وخاصة إذا كان المستدرك أديباً فى نفسه وأديباً فى درسه . فاستدراك أديبنا اليوم فيه كثير من الاطلاع على الأدب الغربى ، وفيه كثير من الأدب فى الاستدراك ؛ وذلك شىء يشجع الكاتب على المضى فى عمله ، ويغريه بالاستمرار فى البحث

يأخذ علىّ المستدرك الفاضل أننى ذكرت ناساً وتركت ناساً أشهر منهم من شعراء الطبيعة . وشطر هذا الكلام حق فما قصدت أن أعد شعراء الطبيعة جميعهم لا أستثنى منهم أحداً ؛ ولكنى قصدت المشهورين ممن أكثروا فى وصف الطبيعة وكانت إلهاماً لهم ووحياً لشعرهم . ولو كنت فى مقام يقتضى العد والحصر لذكرت مثلاً توماس ناش ١٥٦٧ — ١٦٠١م الذى عاش قرابة ثلث قرن وعاصر جرين ومارلو ، ومات بعد حياة كانت أملأ بالكفاح والنضال منها بالدعة والمرح . ولهذا الشاعر غرام عجيب بالطبيعة . وكان من حقه أن أنظمه فى سلك شعراء مقالى الأول ؛ إلا أن شهرته الأدبية لا تعدل شهرة من ذكرت

وله أبيات فى الربيع عنوانها Spring يقول منها :

المـــروج معطرة الأنفـــاس
والأقاحى تقبـــل أقدامنـا
وأحداث المشاق يلتقون
والزوجات العُجز يضحكن فى الشمس
وفى كل ثنية تُحيى آذاننا زقزقة الطيور

* * *

ولو كنت فى مقام يقتضى الحصر والعد لذكرت مثلاً بن جونسون ١٥٧٣ — ١٦٣٧ ؛ وذكرت معه أبياته الرائعة بعنوان الطبيعة النبيلة The Noble Nature

ولذكرت روبرت هريك ١٥٩١ — ١٦٧٤ ؛ وذكرت زيادة على أبياته فى زهرة الدافوديلس قصائده فى البنفسجة ، والبريمروز ، وبراعم الكرز ، والعشب . فهو فى هذه الموضوعات مُغَنٍّ للطبيعة . ولقد يكون فى أفكاره شىء من التفاهة ؛ ولكنه يخلع على تلك الأفكار ثياباً من تعبير يكسبها نضارة قطرات الندى فى تباشير الصباح

ولذكرت الشاعر وليام كولينس ١٧٢١ — ١٧٥٩ ؛ وذكرت قصيدته غير القفاة التى عنوانها « إلى مساء »

ولو كنت فى مقام يقتضى الحصر والعد لذكرت والتر لاندور ١٧٧٥ — ١٨٦٤ ؛ وهو الذى يقول فى إحدى مقطوعاته :

« إننى أحببت الطبيعة ، وأحببت الفن بعدها »

ولذكرت لورد تنيسون ١٨٠٩ — ١٨٩٢ ؛ وذكرت قصيدته التى يخاطب بها البحر قائلاً :

تكسر ! تكسر ! تكسر أيها البحر !
على صخورك الباردة الدواكن . . .

وذكرت قصيدته « الجدول » التى أنطق فيها الجدول

المترقرق من حين ينبجس إلى حين يتصل بالنهر ، ماراً بالهضاب ، متمرتراً مع الأحجار ، مخترقاً الحقول ، محتملاً فوق مائه برعمة طافية أو عشبة يابسة ، ملقياً بهما فى أحضان تياره المندفع فوق صغار الحصى

ولذكرت برونتج ١٨١٢ — ١٨٨٩ ؛ وذكرت قصيدته « أفكار نحو الوطن ـ من البحر »

ولو كنت فى مقام يقتضى الحصر والعد لذكرت شارلس كنجسلى ١٨١٩ — ١٨٧٥ ، وذكرت قصيدته « أغنية إلى ريح الشمال الشرقى » ، ولذكرت وليام موريس ١٨٣٤ ـ ١٨٩٦ وذكرت قصيدته « فجر الصيف » وهى لوحة على إيجازها مملوءة بالخصيب من الألوان . ولذكرت سوينبرون ١٨٣٧، ١٩٠٩ ، وذكرت قصيدته « حديقة مهجورة » ولو أنها أميل إلى شعر التأمل والتفكير الفلسفى منها إلى شعر التصوير والطبيعة

ولو كنت فى مقام يقتضى الحصر والعد لذكرت هؤلاء وكثيراً غيرهم ممن يصادفهم قارىء الأدب الإنجليزى ؛ ولذكرت غيرهم من شعراء الطبيعة الفرنسيين ؛ ولذكرت غيرهم من شعراء العربية ممن لم أذكرهم فى مقالى الأول اكتفاء بمن ذكرت ؛ ولأضفت إلى هؤلاء بضعة من الشعراء اقترحهم علىّ الأديب حسين الشام فى رسالته الخاصة ، أمثال إمرسن ويوسف كيزار وكيلنج ولورنفلو فى أدب اللغة الإنجليزية . وبوشكين فى الأدب الروسى ؛ ولأضفت إليهم — من عندى — بريدجز ، وهوسمان ، وتوماس هارى ، وشارلس سورلى ، ولامير من شعراء القرن العشرين ، وأضفت إليهم كذلك روزنبرج ؛ وداى لويس ، وبيتس ، وليون ، وغيرهم من المغمورين

نعم ، لو كان المقام يقتضى الدراسة الواسعة والبحث المحيط لخصصت كل واحد من هؤلاء بمقال ، وأضفت إليهم غيرهم ممن لم أذكرهم ولم يذكرهم المستدرك الفاضل ، ولكن دواوينهم مطبوعة يرجع إليهم من شاء من طلاب التوسع والمزيد

وهناك اعتراض آخر ، وهو أنى لم أسلك عبد الرحمن شكرى والعقاد والمازنى مع من سلكت من الشعراء المصريين

والمعترض يقول (ولكل واحد من هؤلاء غير قصيدة واحدة فى الطبيعة)

وهذا كلام فيه بعض الحق . فلعبد الرحمن شكرى فى ديوانه الأول قصائد خطرات فى المساء ص ٤ ، أو حنين الغروب عند الشمس ص ٨ ، وتحية للشمس عند شروقها ص ١٦ . والحب والليل ص١٨ ، والروض بالليل ص٥٥ ، والبرق ص٥٥ ، وغيرها . وله فى ديوانه الثانى رثاء عصفور ص ٦٣ . وله فى ديوانه الثالث سحر الربيع ص ٧ ، والشعر والطبيعة ص ١٦ ، وله فى ديوانه «زهر الربيع» قصيدة نرجس ص ٤٨ ، وقصيدة حديقة الصيف ص ١ ، والطائر الحبيس ص ٦

وللعقاد كذلك قصائد ومقطوعات فى الطبيعة . وأطولها قصيدة فى « الكروان » التى ضاعت منها الوحدة الموضوعية التى نبحث عنها فى الشعر العربى الحديث

وللمازنى كذلك مقطوعات فى الطبيعة ، ولكن الحق كل الحق أن شاعراً مصرياً لم يتفرد بوصف الطبيعة والجلوس إليها والانغمار فيها كما فعل الشاعران اللذان ذكرتهما فى مقالى الأول وهما المرحوم الهمشرى وشاعر البرارى

ولو كانت قصيدة واحدة أو بضع قصائد تكفى لأن نسلك صاحبها فى عداد شعراء الطبيعة ، لسلكنا فيمن سلكنا حافظ إبراهيم وأحمد شوقى وخليل مطران وعلى محمود طه والدكتور ناجى وعبد العزيز عتيق ، وكثيراً غيرهم ممن يضطرنا ضيق المقام إلى عدم ذكر أسمائهم .

وعلى المستدرك التحية والسلام

محمد عبد الغنى حسن

وزارة المعارف العمومية

المراقبة العامة للامتحانات

نشر بإعلان وزارة المعارف ١٨٣٩

بالعـــدد ٥٥٣ على الاستمارة ع . ح

والصواب على الاستمارة ١٦٧ ع . ج